ماريو بارجاس يوسا:
فزت بما هو أهم من نوبل!

«ماريو بارجاس يوسا، وجابرييل جارسيا ماركيز، وكارلوس فوينتس، وخورخى لويس بورخيس، ويوليو كورتازار» هم بلا شك أعمدة الأدب فى أمريكا اللاتينية فى الوقت الحالى، لكن «ماريو بارجاس يوسا» يتميز عنهم جميعا بأنه كان أسبقهم إلى الشهرة العالمية وأكثرهم اهتماما بالسياسة، ومن ثم أكثرهم خلافية فقد كانت أعمال «بارجاس يوسا» الروائية إلى جانب تفوقها الفنى بمثابة مدافع مدوية ضد الحكم العسكرى فى بلاده، مما سبب له مشاكل كثيرة فرضت عليه العيش خارج بيرو فى فترة من حياته.

حين قابلت كاتب بيرو الأكبر «ماريو بارجاس يوسا» كان قد تخطى تجربة فشله فى انتخابات الرئاسة فى بيرو ولم أجد فى نفسه أية بقايا للمذاق المر لهذا الفشل.. كان ذلك فى بداية عام ٢٠٠٠م حين جاء مع زوجته فى زيارة قصيرة إلى القاهرة بعد عشر سنوات من انتخابات الرئاسة التى جرت عام ١٩٩٠م، ولقد سألته: ما الذى يدفع كاتباً كبيراً لأن يترك مملكة الأدب، حيث هو ضمير أمته الحى ويتحول إلى رجل سياسة تختلف حوله الآراء وتتعرض سياساته للنقد والمعارضة؟

قال: إن الأديب فى جانب منه مصلح اجتماعى فهو ناقد للأوضاع القائمة وساع على الدوام لتحقيق مجتمع أفضل، وهنا هو لا يختلف عن السياسى وإن اختلفت وسائل كل منهما، وحين يدخل الأديب مجال السياسة فهو يحاول أن يستخدم أدوات السياسة كى يحقق ذلك المجتمع الأفضل الذى يحلم به والذى يطالب به فى أعماله.

قلت: ألم تخش من السياسة على أدبك؟ وهل كنت ستجد الوقت أولاً للكتابة وأنت تتحمل أعباء أكبر مسئول سياسى فى البلاد؟. ثم هل كنت ستتمكن من الكتابة بنفس الروح الناقدة وأنت فى موقع يتطلب منك مراعاة اعتبارات كثيرة سياسية ودبلوماسية لا تعنى الأديب فى شئ؟

قال: لا شك أنها كانت ستمثل تضحية من الأديب الذى من المفترض ألا تحده أى اعتبارات غير رؤيته الفنية، كما أنها تضحية أيضًا من ناحية إيجاد الوقت اللازم

للكتابة و«روقان البال»، لكن دخول مجال السياسة لم يكن يمثل لى هجرة دائمة من عالم الأدب إلى عالم السياسة، إنما زيارة قصيرة، ففترة الرئاسة محدودة ببضع سنوات كان الأديب سيعود بعدها ثانية إلى رحابة الأدب، حيث الحرية الكاملة فى التفكير وفى التعبير عن رؤاه ومواقفه من الحياة بشكل عام، و «ماريو بارجاس يوسا» هو بلا شك أكبر أدباء بيرو وهو أحد أهم الأسماء فى أدب أمريكا اللاتينية بشكل عام، حتى إن البعض يقول إن أدب أمريكا اللاتينية الذى بدأ بأديب بيرو الكبير «ألانكا جاثيلاسو دى لافيجا» فى القرن الـ١٦ قد بلغ قمته فى العصر الحالى بأديب أيضًا من بيرو هو «ماريو بارجاس يوسا».

وقد صعد نجم «بارجاس يوسا» فى الستينيات الماضية، حين بدأت رواياته الأولى تلقى رواجا جماهيريا، ونقديا فى نفس الوقت، ومنها روايته الأولى «المدينة والكلاب» عام ١٩٦١م والتى ترجمت إلى الإنجليزية بعنوان «عصر البطل» و«البيت الأخضر» عام ١٩٦٥م وروايته الملحمية «حديث فى الكاتدرائية» عام ١٩٦٩م.

على أن إنتاج «بارجاس يوسا» يترواح ويتنوع ما بين الرواية والمسرحية والكتابة الصحفية، وقد كتب الأعمال التاريخية والبوليسية، والرواية السياسية. كما كتب أيضًا الكوميديا، ولكن ابتداء من روايته الأولى كان اهتمامه بالسياسة واضحًا، ففى «المدينة والكلاب» يهاجم الكاتب المؤسسة العسكرية الحاكمة بلا هوادة، مما دعا بعض القادة العسكريين إلى مهاجمتها قائلين إنها نتاج عقلى منحل، مؤكدين أن «ماريو بارجاس يوسا» كان مدفوعا من «إكوادور» لكتابة هذه الرواية من أجل التقليل من شأن الجيش فى بيرو.

أما فى «البيت الأخضر» فإن «بارجاس يوسا» يروى قصة بيت دعارة اسمه «البيت الأخضر» وبطلة الرواية هى «بونيفاسيا» الفتاة التى كانت تستعد لدخول الدير، لكنها بدلا من ذلك أصبحت أشهر العاملات فى «البيت الأخضر»، وقد حازت الرواية على ثناء كبير من جانب النقاد. كما رأى فيها البعض نقدا لاذعا للحياة السياسية فى بيرو، وحصل بها «بارجاس يوسا» على جائزة «رومولو جاليموس» والتى تنافس عليها معه «جابرييل جارسيا ماركيز» وكانت تلك الجائزة فاتحة لعدد كبير من الجوائز فاز بها «ماريو بارجاس يوسا» مؤكدا مكانته البارزة على المسرح الأدبى فى أمريكا اللاتينية، ومازال البعض يعتبر «البيت الأخضر» التى كتبها «بارجاس يوسا» وهو فى الثلاثين من عمره أهم وأفضل روايته جميعًا، بل إن الناقد «جيرالد مارتن» يرى أن «البيت الأخضر» هى واحدة من أهم الروايات فى التاريخ الأدبى لأمريكا اللاتينية كلها.

على أن أكثر روايات «بارجاس يوسا» نقدا للأوضاع السياسية فى بلاده هى «حديث فى الكاتدرائية» والتى تروى محادثة بين رجلين فى أحد «البارات» والذى يحمل اسم الكاتدرائية.

والحقيقة أن ترشيح «ماريو بارجاس يوسا» للرئاسة لم يأت من فراغ، فإلى جانب أنه عالج الكثير من الموضوعات السياسية فى أعماله فقد كان دائما صاحب نشاط سياسى واضح تسبب فى مرحلة من مراحل حياته فى أن يغادر البلاد ويعيش فى أوربا، ولقد بدأ «بارجاس يوسا» نشاطه السياسى بالانتماء إلى اليسار، لكنه على مدى السنوات تحول موقفه بالتدريج إلى اليمين، وقد كان أحد المؤيدين للزعيم الكوبى «فيدل كاسترو» لكنه أعلن بعد ذلك أن الزعيم الكوبى قد خيب ظنه.

ويقول لى «ماريو بارجاس يوسا» إنه يقيم الآن فى لندن بصفة شبه دائمة، حيث لا يذهب إلى بيرو إلا لمدة ثلاثة أشهر فى السنة، وأنه حصل على الجنسية الأسبانية عام ١٩٩٣م، حيث انتخب عضوا فى الأكاديمية الأسبانية، وهى مجمع الخالدين الذى لا يدخله إلا أكبر الأسماء فى آداب اللغة الأسبانية.

وحين قابلت كاتب أمريكا اللاتينية الكبير لم يكن قد فاز بجائزة نوبل بعد والتى جائته بعد ذلك بعشر سنوات عام ٢٠١٠م، رغم ترشحيه لها أكثر من مرة لذلك سألته: لماذا لم تحصل على جائزة نوبل، رغم مكانتك الكبيرة فى أدب أمريكا اللاتينية، ورغم شهرتك العالمية؟

فيقول لى: لقد فزت بما هو أكبر وهو اعتزاز القراء بما أكتب فكل خطاب يصلنى من أحد القراء فى بلادى يحمل فى طياته ما هو أهم من الجائزة، أما فى مجال الجوائز فأنا أعتز كثيرا بجائزة «سربانتس» التى تعتبر أكبر جوائز آداب اللغة الأسبانية فى العالم.

❑❑❑

الأميرة مارجريت:
ابنـى يعمـل نجـارا !

كانـت الأميرة مارجيت فى الخمسـينيات هى أكثر أميرات البيـوت الملكية الأوربية سـحرا وجمالا، لم تكـن الأميرة ديانا قد ولدت بعد، ولا كان أميـر موناكو الراحل رينيه قـد تزوج بعد من فاتنة السـينما الأمريكية جريس كيلى لينجـب منها الأميرتين الفاتنتين كريسـتين وستيفانى فكانت شقيقة ملكة بريطانيا الصغرى تمثل نموذجا فريدا بين أميرات أوربا فى ذلك الوقت بابتسامتها الساحرة وعلاقاتها العاطفية المثيرة التى تابعتها الصحافة فى جميع أنحاء العالم.

كان تاريخ الأميرة مارجيت شقيقة ملكة بريطانيا ماثلا فى ذهنى وأنا جالس إلى جوارها فـى طائرتها الخاصة والتى تم ترتيب مقصورتها الأمامية على شـكل صالون دائرى وليس فى شـكل مقاعد متراصة خلف بعضها البعض، كانت الطائرة تقلنا من القاهرة إلى الأقصر فى الزيارة الوحيدة التى قامت بها الأميرة لمصر.

أجلستنى الأميرة إلى يمينها وأجلست زوجتى الفنانة نازلى مدكور على يسارها وأمامنا جلس السـفير البريطانى جيمس أدافر وزوجته دوناتيـلا ووصيفة الأميرة وهى زوجة أحد اللوردات البريطانيين، وفى الجزء الخلفى من الطائرة جلست بقية حاشية الأميرة يتقدمهم اللورد بابيير سـكرتيرها الخاص الذى كنت قد عرفته منذ سنوات أثناء فترة دراستى أثناء فترة دراسـتى فى أوكسـفورد، أما بقية الحاشـية فكان (الكوافير) الخاص بالأميرة وكان شابا يحمل اسما إيطاليا لا أذكره والخادمة الخصوصية التى كانت مارجيت تناديها طوال الوقت باسم ماريا.

ومـا أن حلقت الطائرة فى الجو حتى طلبـت الأميرة قائمة الغداء لتعرضها علينا قائلة إنها اختارت الأطباق بنفسـها وسألتنا وبأدب الضيافة الملكى إن كانت تروق لنا باعتبارنا ضيوفها على الطائرة، فأبدينا جميعا سـرورنا بالأطباق التى اختارتها لنا الأميرة، فأومأت برأسـها إلـى مضيف الطائـرة أن يبدأ فى إعـداد الغداء، وبدأت تتجـاذب معنا أطراف الحديـث فقالت لى إنها كانت على وشـك زيارة مصر قبـل ذلك فى خريف عام ١٩٧٣م

وأنها راجعت بنفسها جميع تفاصيل برنامج الرحلة، لكن اندلاع حرب أكتوبر فى ذلك العام حال دون إتمامها، وقالت لى (إنى أشكرك أنك فكرت فى هذه المرة)، فأيقنت أن سكرتيرها الخاص قد أخبرها بقصة الدعوة.

كنا فى أكتوبر عام ١٩٨٨م وكنت فى ذلك الوقت وكيلا لوزارة الثقافة للعلاقات الثقافية الخارجية ومسئولا عن برنامج الموسم الافتتاحى للأوبرا، وأجريت الاتصال مع مختلف الدول للمشاركة فى افتتاح الأوبرا الجديدة وقد استجابت بريطانيا على الفور وأخبرنى السفير جيمس أدافر أن بلاده سترسل للأوبرا واحدة من أكبر فرق الباليه البريطانية وهى فرقة بالية مهرجان لندن London festival Ballet التى تعتبر الأميرة مارجيت راعيتها الأولى، وتراسلت مع لورد نابيير سكرتير الأميرة لأعرض عليه فكرة دعوتها لزيارة مصر مع الفرقة بعد أن علمت مع السفير بخبر زيارتها التى لم تتم فى عام ١٩٧٣م، ووافقت مارجريت على الفور فوصلتها خلال أيام دعوة رسمية من السيدة سوزان مبارك لزيارة مصر فى الموعد المتفق عليه.

كانت الأميرة مارجريت قد سبقتها إلى مصر قصص ومغامرات كثيرة على مدى السنوات منذ بدأت الصحف فى أوائل الخمسينيات تتحدث عن قصة غرامها الشهيرة مع الضابط الوسيم بيتر تاونسند الذى كان يكبرها بأكثر من ١٠ سنوات وما تبعها من علاقات أخرى كانت أشهرها تلك التى ربطت بينها وبين المصور أنتونى أرمسترونج الذى تزوجته فيما بعد فحصل على لقب لورد سنودن، وعازف البيانو الشاب روبين دوجلاس هيوم ابن شقيق رئيس الوزراء السير أليك دوجلاس هيوم والذى كان يعزف لها الموسيقى عاريا ثم انتحر حين أنهت الأميرة علاقتهما.

لكن الأميرة التى وصلت إلى مصر فى أحد أيام شهر أكتوبر عام ١٩٨٨م مرتدية (تاييرا) فستقى اللون وعلى عينيها نظارة سوداء كانت سيدة تقترب من الستين من عمرها جامدة فى مشاعرها بعد أن أخمدت ثورتها عنوة وداست على قلبها مهزومة أما التقاليد الملكية التى كانت صارمة فى ذلك الوقت، لدرجة أنها لم تكن تسمح بالطلاق بين أفراد العائلة الملكية بينما كانت مارجريت تسعى للزواج من ضابط مطلق وهو الزواج الذى وقفت أمامه الملكة إليزابث ورئيس الوزراء فى ذلك الوقت السير أنتونى إيدن (حفاظًا على سمعة الإمبراطورية)، ومن سخرية الأقدار أن تسبب إيدن بعد ذلك فى تحطيم الإمبراطورية بشن حرب السويس عام ١٩٥٦م وأن أصبح ثلاثة من أبناء إليزابث الأربعة مطلقين.

ولقد أخبرتنى مارجريت أنها لم تتشاجر فى حياتها مع شقيقتها الكبرى إليزابث إلا مرتين، مرة وهما صبيتان والأخرى بعد أن صارت ملكة عام ١٩٥٢م، ورغم أنها لم تقل لى تفاصيل هاتين الواقعتين فقد كنت أعرف أن المرة الثانية كانت بسبب بيتر تاونسند حيث تردد فى ذلك الوقت أنها تحدت الملكة قائلة: (ديرى أنت الإمبراطورية كما تريدين، لكنى أنا التى سأدير حياتى)!.

لكن مارجريت الشابة اضطرت فى النهاية للخضوع للضغوط الخانقة التى جاءتها من البلاط الملكى ومن رئاسة الوزارة ومن الكنيسة أيضا حيث أعلن أسقف كانتربرى رفض زواجها من المطلق بيتر تاونسند، وفى عام ١٩٥٥م وبعد ٣ سنوات من صراعها من أجل الحب الذى تابع العالم كله تفاصيله صدر عن قصر باكنجهام بيان باسم صاحبة السمو الملكى الأميرة مارجريت شقيقة الملكة تقول فيه (إننى قررت مراعاة تعاليم الكنيسة والالتزام بواجبى نحو الإمبراطورية البريطانية)، فكانت تلك هى نهاية قصة الحب التى عاشتها الأميرة الشابة والتى جاءت نهايتها لتقتل الكثير من المشاعر فى قلبها حتى بدت وهى فى سن الستين مليئة بالمرارة مما كان ينعكس على علاقاتها بحاشيتها والذين كانت فى بعض الأحيان تتعامل معهم أمامنا بعجرفة كانت تصيبنا جميعا بالحرج.

لاحظت أن الأميرة مارجريت أثناء رحلتنا فى طائرتها كانت فى حالة نفسية جيدة فبدأت أسألها عن أولادها من لورد سنودن وماذا يعملون فقالت لى إن ابنها يعمل نجارا (!!) وقد علمت من السفير فيما بعد أن تلك طريقتها المتواضعة، فى القول إنه مصمم أثاث، أما ابنتها فربة بيت، وبالتدريج انفرجت أسارير صاحبة السمو الملكى وتحدثت فى أشياء كثيرة قائلة إنها تتحدث بين أصدقاء مما يعنى أن حديثها لم يكن للنشر.

وانتهزت الفرصة كى أعتذر لها عن حفل العشاء الذى أقمناه لها فى الليلة السابقة بفندق مينا هاوس حيث أصيب قبله الدكتور بطرس بطرس غالى فى حادثة طريق صغيرة فاعتذر تليفونيا عن عدم الحضور أثناء وجودنا فى العشاء مما لم يتح لنا فرصة إعادة ترتيب المائدة بشكل آخر عملا بالبروتوكول، لكن الأميرة أفرجت فى الطائرة عن ابتسامتها التى كانت تظهر فى صورها القديمة وهى تقول لى فى أخلاق ملكية راقية: (إننى لم ألحظ أن المائدة لم تكن مرتبة كما يجب).

ألكسندر هيج:
رجل السياسة يموت أكثر من مرة !

لـم أكـن أتصور حين قابلت ألكسـندر هيج أنه سـيتحدث بهذا الوضـوح عن انحياز الولايات المتحدة لإسـرائيل وينتقد سياسـتها فى الشرق الأوسـط لأنها تعبر عن الضغوط اليهودية الداخلية، فألكسـندر هيج هو المستشـار العسكرى السـابق للرئيس نيكسون ثم هو قائد قوات حلف شـمال الأطلنطى فى عصر الرئيس فورد وهو بعد ذلك وزير لخارجية الرئيس ريجان أى أنه كان التجسيد الحى لهذه السياسة عسكريا وسياسيًا!

قابلت وزير الخارجية الأمريكى الأسـبق وقائد قوات حلف شـمال الأطلنطى الجنرال ألكسـندر هيج فى عام ١٩٩٩م بالعاصمة الكورية سـيول فقد كنا ننزل فى فندق واحد هو فنـدق (لوتى) الذى يعتبر أكبر فنادق المدينة والذى يضم برجين عملاقين ومجمع محلات تجارية متعددة الطوابق و٢١ مطعما يقدم كل منها أكلات دولة من دول العالم.

ألكسندر هيج مع محمد سلماوى

كان لقاؤنا فى جناح ألكسندر هيج الواقع فى الدور ال٣٦ بالفندق، حيث استقبلنى الجنرال بابتسامة عريضة وكان يرتدى قميصا وربطة عنق دون (جاكيت) فبدا أصغر من سنه الذى كنت أعرفه، مما دفعنى إلى أن أساله عن سر ذلك الشباب، هل هو العسكرية أم السياسة؟ فقد تأرجح بينهما فى مراحل مختلفة من حياته.

قال على الفور: السر هو إننى تركت السياسة منذ تركت وزارة الخارجية، فالعسكرى كما تعرف يموت مرة واحدة، أما السياسى فيموت كثيرا، ولقد وجدت أننى منذ تركت مهنة الموت الكثير هذه استعدت الكثير من صحتى وراحة بالى، ثم أطلق الجنرال ضحكة جلجلت فى أرجاء الفندق كله ببرجيه العملاقين ومطاعمه ال٢١.

وسألت وزير خارجية أمريكا: هل كان الشرق الأوسط من القضايا التى سببت لك الموت أثناء توليك الخارجية الأمريكية؟

قال: إن علاقتى بالشرق الأوسط تعود إلى أبعد من الفترة التى توليت فيها وزارة الخارجية، إنها تعود إلى أيام ريتشارد نيكسون، فقد كنت آنذاك مستشارا عسكريا للرئيس أعمل مع هنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى آنذاك، وقد طلب منى نيكسون صراحة أن أبقى عينى على الشرق الأوسط بشكل خاص بسبب الخلفية اليهودية لكيسنجر والتى قد تجعله ينحاز إلى جانب ضد الآخر ولا يحرص على الموضوعية.

ويضيق ألكسندر هيج: ولقد استمر اهتمامى بالشرق الأوسط من مختلف مواقعى كقائد عام لقوات حلف الشمال الأطلنطى، ثم كوزير للخارجية بعد ذلك، وعبر ثلاثة رؤساء أمريكيين هم نيكسون وفورد وريجان، إلى أن قدمت استقالتى فى منتصف عام ١٩٨٢م، ودعنى أقُل لك لأول مرة إن الشرق الأوسط كان له دخل فى استقالتى، فإن غزو إسرائيل للبنان فى ذلك الوقت وما تلاه من خلافات سياسية داخل الإدارة الأمريكية هو الذى دفعنى إلى الاستقالة، فقد كنت أرى أن الولايات المتحدة بإمكانها الحيلولة دون اجتياح إسرائيل لدولة مجاورة ذات سيادة، لكن الإدارة الأمريكية تركت إسرائيل تفعل ما تريده لأن هناك عوامل كثيرة داخلية تتحكم فى السياسة الخارجية الأمريكية وذلك لا يجعل الكلمة الأخيرة لوزارة الخارجية.

قلت: ذلك هو ما يجعل السياسة الخارجية الأمريكية منحازة بشكل سافر إلى جانب إسرائيل، وربما كان هذا هو ما جعل نيكسون يطلب منك أن تراقب تصرفات كيسنجر الذى كان يجسد تلك الاعتبارات الداخلية.

فقال لى: Touché وهو التعبير الفرنسى المأخوذ من رياضة المبارزة حين يعترف أحد المتبارزين بالضربة التى وجهها له غريمه.

ثم أضاف: حين توليت وزارة الخارجية فى يناير ١٩٨١م كنت الوزير رقم ٥٩ فى تاريخ الوزارة، لكنى ربما كنت من أوائل من حاولوا إيجاد قدر من التوزان فى سياستنا فى الشرق الأوسط، لكنى أعترف لك أننى لم أنجح فى ذلك، فالسياسة الأمريكية كثيرا ما تكيل بمكيالين، والمثال الأخير على ذلك هو العراق، فقد كنا نساعد العراق ونمده بالسلاح فى حربه مع إيران، لكن كنا مدفوعين فى ذلك ليس بمبدأ الموضوعية والتوازان وإنما بأزمة الرهائن التى واجهناها فى طهران، ثم بعد ذلك انقلبنا على العراق ووصلنا إلى الموقف النقيض لما كنا عليه حين قدمنا لهم المساعدات المالية والعسكرية وكانت المخابرات الأمريكية تمدهم بالمعلومات السرية عن إيران وما يجرى فيها من تحركات عسكرية وسياسية، ولكننا دفعنا ثمن حماقتنا فيما بعد، وها أنت ترانا الآن نضيق الخناق حول العراق ونتحدث عنهم باعتبارهم أعداء، وهذا التناقض إنما يدل على سياسة غير سليمة وغير مستقرة.

قلت: إنكم تبررون سياستكم الحالية بامتلاك العراق لأسلحة دمار شامل وهو أمر غير مؤكد، بينما تغضون الطرف عن إسرائيل التى يعتبر امتلاكها لتلك الأسلحة أمرا مؤكدا.

فقال بلا تردد: دعنى أقل لك إن السياسة الأمريكية فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل ساذجة إلى أبعد الحدود، فالتصور بأن الخلاص من هذه الأسلحة يكون بابتزاز الدول التى تملكها ومحاصرتها أو مقاطعتها هو تجاهل للأسباب الحقيقية التى تدعو هذه الدول لامتلاك هذه الأسلحة، إن الدول التى تسعى للحصول على الأسلحة الكيماوية أو النووية تشعر بعدم الأمان بسبب امتلاك طرف آخر لهذه الأسلحة، وأن على السياسة الأمريكية إن كانت تريد القضاء على هذه الأسلحة أن تتعامل مع أسباب شعور من يمتلكونها بعدم الأمان.

ثم رجع الجنرال فى مقعده ويريح ظهره إلى الوراء وهو يقول: إننى طوال حياتى العسكرية والسياسية لم أكن أبدا من المؤمنين بإمكان القضاء على انتشار الأسلحة النووية عن طريق التشريعات القانونية أو الاتفاقيات الدولية، إن علينا أن نواجه الحقيقة ونعترف أن هذه الأسلحة هى نتاج مباشر للشعور بعدم الأمان، ولست أعرف مثلا كيف فوجئت الولايات المتحدة بامتلاك باكستان لأسلحة نووية! كيف كان من الممكن تصور أن باكستان

ستجلس هناك تتفرج على جارتها الكبرى الهند وهى تصنع قنبلتها النووية دون أن تسعى هى الأخرى لعمل نفس الشيء! لقد كان علينا بدلا من تهديد باكستان وهى دولة صديقة أن نعمل معها على احتواء القدرة النووية الهندية القائمة منذ سنوات بحيث لا تجد باكستان مبررا لامتلاك تلك الأسلحة.

وأقول: وهل تنطبق هذه النظرية على الشرق الأوسط أيضا؟

فيرفع الجنرال حاجبيه الكثيفتين ويقول: بالطبع، لكن أحدا لا يريد أن يعترف بذلك.

قلت: لماذا؟

قال: إن الولايات المتحدة دولة ديمقراطية والمواطنون اليهود لديهم نفوذ كبير وهم يستخدمون حقهم كمواطنين أمريكيين فى التأثير على عملية صنع القرار لصالح إسرائيل. لكنهم فى الكثير من الأحيان لا يتفقون تماما مع حكومتهم فى إسرائيل واستخدم هنا وزير الخارجية السابق كلمة (حكومتهم) وهى زلة لسان لها مغزاها.

فهناك من اليهود فى الولايات المتحدة وخارجها من يرفضون سياسة إسرائيل ويتطلعون إلى سياسة تهدف إلى إحلال السلام. ثم يختم حديثه قائلا: كل ما أخشاه هو أن تفسد الولايات المتحدة ذلك ببعض السياسات الخاطئة كعادتها!

❑❑❑

الفنانة إيمان:
أشعـر بحنـيـن لمصـر!

حين قابلتها فى القاهرة عام ٢٠٠٢م حكت لى قصتها وكيف تحولت من ليلى ياسـين إلى الممثلة السـمراء إيمان إلى فراو شليرت أى مسز شليريت زوجة المليونير الألمانى صاحب شركة المقاولات العملاقة التى تبنى المدن الكاملة بوحداتها السكنية ومدارسها ومستشفياتها الخ.. كانـت مازالت تحمل الابتسـامة الهادئة الجميلة التى اشـتهرت بها على شاشـة السينما فى الستينيات لكن عينها كانت تعبر عن حنين واشتياق جارفين.

روت لى الفنانة المعتزلة إيمان قصتها مع السينما فقالت إن أول مرة عرض عليها أن تقوم بالتمثيل كان فى نهاية الأربعينيات حين كانت فتاة صغيرة (زوغت) من المدرسة فى مصر الجديدة مع صديقاتها ليذهبن إلى سـينما مترو، وبعد أن انتهى الفيلم وخرجن من السينما وجدن المخرج الكبير حسـن الإمام يقوم بتصوير فيلم فى نفس الشـارع فوقفن يتفرجن على هذا المشـهد فلاحظهن المخرج، ويبدو أن وجه الطالبة الصغيرة السـمراء لفت نظره فتقدم منها وعرض عليها أن تعمل فى السينما وقال إن لديه دورا خاصا لها فى الفيلم الذى كان يقوم بتصويره، لكن الفتاة فزعت وجرت هى وصديقاتها.

الفنانة إيمان وزوجها على مائدة العشاء مع محمد سلماوى وزوجته.

وقالت إيمان: رغم أننى لم أعمل مع حسن الإمام قط بعد أن اتجهت إلى السينما فإننى قابلته عدة مرات لكنى لم أذكره أبدا بتلك الواقعة التى كنت أشعر بالخجل كلما تذكرتها.

كانت تلك الفتاة الصغيرة تدعى ليلى ياسين، ورغم أنها فزعت من العرض الذى قدمه لها حسن الإمام فقد شاءت الأقدار أن تصبح بعد ذلك واحدة من أحب نجوم السينما المصرية من أواسط الخمسينيات إلى أواسط الستينيات بعد أن أصبح اسمها الفنى هو إيمان فأمتعت جمهور السينما بـ ١٢ فيلما من أهمها: (أيام وليالى) أمام عبد الحليم حافظ و (أنا بريئة) أمام أحمد مظهر و(علمونى الحب) أمام يحيى شاهين و(تجار الموت) أمام فريد شوقى و(حياة فى الظلام) أمام رشدى أباظة.

ولقد التقت ليلى ياسين بعد ذلك بسنوات وبعد أن أكملت تعليمها بالمرحوم فؤاد الأطرش الشقيق الأكبر لفريد الأطرش والذى لم يكن يعمل بالفن، ورغم أنه كان يكبرها بـ ٢٥ عاما فإنه أحبها فبادلته حبا بحب وحين عرض عليها الزواج وافقت على الفور وكانت تفخر بأن إنسانا ناضجا قد أحبها وهى الفتاة الصغيرة عديمة الخبرة.

لكن يبدو أن مقابلتها لحسن الإمام أثناء سنوات دراستها بالمدرسة وعرضه لها بأن تعمل بالسينما كان يحمل لها نبوءة عن مستقبل حياتها لم تكن تعرفها حتى بعد أن تزوجت من فؤاد الأطرش، فقد حدث ذات مرة أن كان المخرج الكبير هنرى بركات يقوم بتصوير فيلم (عهد الهوى) لفريد الأطرش ومريم فخر الدين وجاء يتناول طعام الغذاء عند آل الأطرش، وأثناء الغذاء نظر بركات إلى عينى زوجة فؤاد الأطرش فراعه جمالها المصرى الصميم فعرض عليها نفس ما عرضه عليها حسن الإمام قبل ذلك بسنوات، لكن الزوجة الناضجة لم تفزع هذه المرة ولم تفر هاربة. بل قالت ببساطة إنها لم تفكر أبدا فى العمل بالسينما، لكن فريد الأطرش تحمس للفكرة وعرض عليها بركات أن تقوم بدور شقيقة فريد فى فيلم (عهد الهوى) فأكد لها فريد أنه سيكون إلى جانبها طوال وقت التصوير وأنه لا داعى للقلق.

كان ذلك فى عام ١٩٥٦م وتوالت الأفلام بعد ذلك على ليلى ياسين التى أصبحت الآن النجمة المحبوبة إيمان، لكن دخول الفن إلى حياتها كان إيذانا بخروج الزواج، فقد تسبب انشغالها بالتمثيل فى اضطراب علاقتها بزوجها وفى عام ١٩٦٠م استحالت الحياة بينهما فوقع الانفصال.

قلت لإيمان: تلك كانت قصة ليلى ياسين فتاة المدرسة ثم زوجة فؤاد الأطرش.

أما قصة إيمان الممثلة فقد تابعناها جميعا على شاشة السينما، فما هى قصة فراو شليريت زوجة عملاق المقاولات الألمانى؟

قالــت: كنــت بعد انفصالى عن فؤاد الأطرش قد انغمســت فى التمثيل ٢٤ ســاعة فى اليوم لأملأ حياتى وفى أثناء انشغالى بالتصوير فى أحد الأفلام تصادف أن كان هناك فريق ســينمائى ألمانــى يقوم بالتصوير فى البلاتوه المجاور، وكان أعضــاء الفريق كثيرا ما يأتون لمشــاهدة التصوير عندنا، وبعد شــهور وصلنى خطاب من المخرج الألمانى يقول لى فيه إنه يعتــزم تصوير فيلم عن القائد العســكرى الألمانى روميل الذى كان صاحب المعركة الحربية الشــهيرة فى العلمين أثناء الحرب العالمية الثانية وعرض علىّ المخرج أن أقوم بدور الفتاة المصرية فى الفيلم.

وبعد أن اطلعت إيمان على السيناريو تحمست للدور وسافرت إلى برلين لتصوير المشاهد الداخلية للفيلم بينما كانت المشاهد الخارجية تصور هنا فى مصر، وأثناء وجودها فى ألمانيا دعاهــا المخرج الألمانى إلى حفل عشــاء بمنزله هو وزوجته وكان من بين الضيوف الشــاب الوسيم ماكس شليريت صاحب شركة المقاولات الشهيرة الذى وقع فى حبها من أول نظرة وقــرر الحبيبان الزواج أثنــاء وجود إيمان فى ألمانيا لكن عائلة إيمان نصحتها بالاكتفاء فى ألمانيــا بالخطبــة وتأجيل الزواج إلى أن يأتى الزوج إلى مصر ويقابل أســرتها ويتعرف على بلدها وعلى الحياة التى تعيشها.

وهكــذا عــادت إيمان إلى مصر لتكمــل فيلما كانت متعاقدة عليــه وكان الخطيب الألمانــى يأتى إلى مصر بالطائرة كل نهاية أســبوع لزيــارة خطيبته إلى أن انتهت من التصوير فتم الزواج.

هذه المرة كانت ليلى ياسين قد تعلمت درس زواجها الأول وعرفت أن عليها أن تختار بين الفن أو الزواج بعد أن أثبتت لها تجربتها الأولى أنها لن تستطيع أن توفى الفن والزواج حقيهما كاملا وأنها ستصل حتما إلى نقطة تتعارض فيها حقوق أحدهما مع حقوق الآخر.

وتقول إيمان: هكذا تركت الفن واخترت الزواج لدرجة أنه حين جاء وقت عرض الفيلم الذى كنت أصوره لم أحضره فقد كنت قد سافرت إلى ألمانيا وبدأت حياة جديدة.

وأسأل فراو شليريت: ألم تفتقدى الفن فى حياتك الجديدة ؟ فتقول: فى البداية كنت أفتقده، فقد كنت فى الفترة الأخيرة قبل الزواج أعطى وقتى كله للسينما حيث كنت أدخل الأســتوديو فى العاشــرة صباحا فلا أخرج معه إلا فى صباح اليــوم التالى، وفجأة وجدت نفســى متفرغة للمنزل، لكنى شــغلت نفسى بتعلم اللغة الألمانية ثم جاء أولادى فملؤا علىّ حياتى كلها.

لكــن الأيام تدور ويكبر الأولاد ويشــق كل منهم طريقه فى الحيــاة، وفى عام ١٩٩٤م يقرر الزوجان أن ينتقلا من ألمانيا إلى النمسا، ويروى لى الدكتور مصطفى الفقى والذى كان سفيرا لمصر فى فيينا فى ذلك الوقت أن إيمان كانت فخرا لمصر فى كل المحافل العامة فى العاصمة النمساوية وقد وجد هو وزوجته لدى إيمان انتماء قويا لمصر عبر عن نفسه فى أكثر من مناسبة كانت فيها إيمان دائما مثالا للعطاء الكريم لوطنها.

وخــلال زيارة إيمان لمصــر فى عام ٢٠٠٢م لحضور مهرجان القاهرة الســينمائى الدولى لتكريمها أقام السفير النمساوى حفل عشاء على شرفها هى وزوجها فكانت سعيدة أن التقت بعدد كبير من المصريين، وقالت لى: يقولون إن الوطن هو الأهل والأصدقاء، وأن الإنسان إذا التقى بهم وجاءوا لزيارته حينما كان لن يعاوده الحنين لوطنه، وأنا آتى لزيارة أقاربى فى مصر بين الحين والحين، كما أنهم يأتون لزياراتى، لكنى أجد أن مصر فى حد ذاتها لها حضور خاص فى نفس أبنائها بعيدا عن الأهل والأصدقاء، وهذا الحضور لا يمكن أن يغنيك عنه أحد، فأنت تجد نفسك فى الخارج مشتاقا لمصر نفسها.. الشوارع والناس والإحساس بأنك فى مصر.. هذا هو الحنين الذى أشعر به دائما وأنا فى الخارج.

❑❑❑

محمد حسنين هيكل:
اذهب إلى الأمم المتحدة على نفقتك!

كان قد مضى على تعيينى بـ (الأهرام) بضعة أشهر فقط حين طلبت مقابلة رئيس التحرير محمد حسنين هيكل لأطلب منه أن أسافر إلى نيويورك لحضور دورة الأمم المتحدة، قال لى أحد زملائى بالقسم الخارجى الذى كنت أعمل به: أنت مجنون؟ لا أحد يسافر إلى الأمم المتحدة إلا المحررون الكبار وأنت ما زلت فى بداية الطريق، وقال لى آخر: أتظن أن الأستاذ هيكل لديه الوقت ليقابلك؟! إن هناك وزراء ما زالوا ينتظرون تحديد موعد لهم ضمن جدول الأستاذ هيكل المزدحم.

كنا فى خريف عام ١٩٧١م، وكنت شابًا فى السادسة والعشرين من عمرى، تركت التدريس بالجامعة والتحقت بـ (الأهرام) متحمسًا أطوق لبذل الجهد وتحقيق الإنجازات، لكن كلام زملائى الأقدم منى والأكثر خبرة كاد يصيبنى بالإحباط فقررت ألا أتابع طلبى مقابلة رئيس التحرير، لكنى فى اليوم التالى فوجئت بسكرتيرة الأستاذ هيكل تطلبنى لتخبرنى أنه سيقابلنى غدًا.

وجاء موعد اللقاء فاستجمعت شجاعتى ودخلت على الأستاذ هيكل قائلاً إننى أريد أن أسافر إلى نيويورك، فقال لى: عايز تسافر تعمل إيه؟ تتفسح؟ قلت: لا، أشتغل، قال: إن (الأهرام) سيكون لديه فى هذه الدورة أكثر من ممثل يغطون جميع الموضوعات المطروحة على المنظمة الدولية، فحمدى فؤاد المحرر الدبلوماسى الشهير سيتولى تغطية منافشات قضية الشرق الأوسط، وهو سيصاحب وزير الخارجية محمود رياض فى الطائرة ولن يعود إلا بعودة الوزير، والمفكر الفلسطينى المعروف كلوفيس مقصود سيتابع تطورات القضية الفلسطينية وما يدور حولها، أما أحمد بهاء الدين فسيتابع دورة الأمم المتحدة بشكل عام ويعود ليكتب ما يريد، فى الوقت الذى سيركز فيه مراسل (الأهرام) ليفون كششيان على بقية الموضوعات التى قد تطرح للنقاش، وفى مقدمتها الحرب الهندية الباكستانية التى كان مجلس الأمن يحاول جاهدًا أن يصل فيها إلى وقف إطلاق النار.

ونظر إلىّ الأستاذ هيكل وقال: ماذا يبقى لك أن تعمله فى الأمم المتحدة بعد كل هذا غير أن تتفسح؟ قلت: هناك موضوع آخر أعتقد أنه مهم. قال: وما هو؟ قلت: موضوع تعيين السكرتير العام الجديد للأمم المتحدة، لقد أعلن السكرتير الحالى يوثانت أنه لن يسعى لتجديد فترة رئاسته للمنظمة الدولية بسبب حالته الصحية، وبدأ صراع محموم داخل أروقة الأمم المتحدة وإن كان ما زال مكتوما حول من سيخلفه؟!، وأعتقد أن هذا الموضوع مهم بالنسبة لقضية الشرق الأوسط وبقية القضايا التى تتعلق بنا.

أخذ الأستاذ هيكل نفسًا من سيجاره وهو يفكر فيما قلت دون أن يعلق، ثم وضع السيجار فى منفضة السجائر التى أمامه وقال: هل ذهبت إلى الأمم المتحدة من قبل؟ قلت: شاهدت مبناها من الخارج لكنى لم أدخله قط، قال: وما الذى يجعلك على ثقة أنك تستطيع أن تنجز فيه شيئًا؟ قلت: إنى أتابع موضوع السكرتير العام هذا منذ فترة وأعتقد أننى ملم بالكثير من تفاصيله، فأنا أعرف الأسماء المرشحة لهذا المنصب وأعرف اتجاهاتهم السياسية وأعرف أية دولة تقف وراء كل منهم، قال: وما هى خطتك فى العمل؟ قلت: سأقيم علاقات مع كل منهم حتى أتابع الموضوع من مصادره الأصلية، قال: وهل تعتقد أن هذا بالسهولة التى تتصورها، قلت: أنا واثق أننى سأعمل شيئًا خاصًا للجريدة فى هذا الموضوع، ومستعد أن أسافر على نفقتى الخاصة لتحقيق هذا، قال الأستاذ هيكل: أأنت جاد فيما تقول؟ قلت: نعم، قال: إذن فسافر على نفقتك الخاصة وسأتابع بنفسى ما تقوم به هناك وحين تعود سيكون لنا حديث آخر، ثم أضاف: سيوفر لك (الأهرام) كل التسهيلات اللازمة وسأخبر ليفون كششيان بأن يرسل لنا كل ما تقدمه من مادة للنشر، ولا تنسى أن تحتفظ بفواتير جميع نفقاتك هناك.

وانتهت مقابلتى مع الأستاذ هيكل وقد وجدت نفسى وقعت فى شر أعمالى بوضع نفسى تحت مجهر الاختبار ليس من رئيسى المباشر أو من الجريدة التى أعمل بها، ولكن من محمد حسنين هيكل نفسه، وكان هذا يشعرنى بحجم التحدى الهائل الذى لم يواجهنى، لماذا لم أستمع لنصائح زملائى القدامى بالقسم الخارجى وأبقى حيث أنا دون أن أضع نفسى فى هذا الاختبار العسير؟ لم يكن يقلقنى أننى قد لا أتمكن من صنع أى شىء، فقد كنت واثقًا أننى سأتمكن من متابعة الموضوع الذى طرحته على رئيس التحرير،

لكن ما كان يقلقنى هو: هل سيكون أى إنجاز أقوم به كافيًا لإرضاء الأستاذ هيكل أو أنه سيبدو له من موقعه إنجازًا متواضعًا؟

وحين دخلت لأول مرة ذلك المبنى الهائل للأمم المتحدة المسمى بعلبة الكبريت بسبب شكله المربع، أحسست بالرهبة وتساءلت مرة أخرى إن كنت قد اتخذت القرار الصائب بقبول التحدى؟، لكنى بدأت بالتدريج أتلمس خطواتى، ونجحت بالفعل فى إقامة علاقات شخصية مع جميع المرشحين لمنصب السكرتير العام والذين كنت قد درست ملفاتهم جيدًا مثل الفنلندى ماكسى جاكوبسون، والنمساوى كورت فالدهايم والأمير صدر الدين خان وغيرهم، وبدأت أرسل لـ (الأهرام) أخبارًا عما يجرى فى الخفاء حول هذا الموضوع فى الوقت الذى انشغل فيه بقية الصحفيين فى الأمم المتحدة بتطورات الحرب الهندية الباكستانية وبقضية الشرق الأوسط وغيرهما من القضايا الكبرى التى كان يدور حولها النقاش، وكنت أراجع بقية الصحف فلا أكاد أجد ذكرا لمسألة السكرتير العام فأحسست أن (الأهرام) قد حقق إنفرادًا فى هذا العهد وصار ينشر أخبارًا لا تنشر فى الصحف الأخرى، لكن الإنجاز الأكبر لم يكن ليتحقق إلا بانتهاء هذا السباق وتسمية السكرتير العام الجديد والذى كنت مصممًا على أن يكون (الأهرام) أول جريدة فى العالم تحصل على حديث معه بمجرد تسميته. لكن مجلس الأمن فشل فى الوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار فى الحرب الهندية الباكستانية التى سيطرت على أعماله، وظلت الجلسة المخصصة لاختيار السكرتير العام الجديد تتأجل من يوم إلى يوم، ذلك أن لائحة المنظمة الدولية تقضى بأن يتفق مجلس الأمن على المرشح الجديد ثم يطرح اسمه على الجمعية العامة للتصويت عليه وإقراره، دون أن يبحث مجلس الأمن هذا الموضوع ولا تمكن مناقشته فى الجمعية العامة.

واقتربت دورة الأمم المتحدة من نهايتها وقرب موعد إجازات عيد الميلاد ورأس السنة دون أن يتمكن مجلس الأمن من بحث موضوع السكرتير العام، ودخلنا مرحلة الخطر بالنسبة لى وبالنسبة للأمم المتحدة، فبالنسبة لى كنت سأعود إلى القاهرة بدون ذلك الحديث مع السكرتير العام الجديد والذى كان سيتوج ما قمت به من تغطية انفرادية فى هذا الموضوع، وبالنسبة للأمم المتحدة فإن ميثاقها لا يسمح بأن يستمر السكرتير الحالى فى أداء عمله إلى حين انتخاب سكرتير عام جديد، فما العمل؟

لقد جاء الحل أخيرًا من رئيس وزراء باكستان ذو الفقار على بوتو الذى فوجئنا به يثور داخـــل مجلس الأمن ويقـــذف بأوراقه فى وجه الحضور وهو يبكى قائـــلا إن دماء الأبرياء تســـيل فى كل يوم جديد والمجلس عاجز عن إصدار قرار بوقف إطلاق النار، وكان موقفًا مؤثرًا بحق وصار من المواقف الشـــهيرة التى شـــهدتها الأمـــم المتحدة، لكن الأهم من كل هـــذا أنـــه أحدث التأثير المطلوب فأصدر مجلس الأمن أخيرًا قرار وقف إطلاق النار وانتقل على الفور إلى بحث قضية الســـكرتير العام الجديد فاختار مندوب النمسا كورت فالدهايم. وقبل أن يطرح الاسم للتصويت داخل الجمعية العامة كنت فى مكتب فالدهايم بمقر الوفد النمســـاوى الواقع خارج مبنى علبة الكبريت أجرى معه أول حديث يدلى به بعد اختياره سكرتيرًا عامًا للأمم المتحدة.

وعند عودتى للقاهرة توجهت من المطار إلى (الأهرام) مباشـــرة فقابلت الأســـتاذ هيكل الذى هنأنى قائلا: إن (الأهرام) ســـيتكفل بكل نفقاتى فى نيويورك وأنه قرر لى فوق ذلك مكافأة خاصة على ما قمت به.

❑❑❑

رئيس جمهورية النمسا:
غير مسموح لى بالتحدث فى السياسة !

عرفت رودلف كيرشليجر وزيرًا لخارجية النمسا، وقد قابلته لأول مرة فى فيينا فى شتاء عام ١٩٧١م. وأجريت معه حديثا نشر آنذاك بوصفه وزيرًا لخارجية بلاده. لكن الحقيقة أن رودلف كيرشليجر من أهم رجال السياسة فى تاريخ النمسا الحديث وقد تولى عدة مواقع مهمة، وساهم فى صياغة الهوية السياسية لبلاده من خلال وضعه دستور النمسا الجديد، ومن ثم لم يكن غريبًا أن يختاره النمساويون رئيسًا للجمهورية.

طرقت باب الرئيس النمساوى رودلف كيرشليجر بعد نجاحه فى انتخابات الرئاسة بشهور قليلة، وقد تذكر الرجل مقابلتنا الأولى قبل ذلك بسنوات، وقال لى إنه لولا ذلك ما كان قد قابلنى لأن منصب رئيس الجمهورية فى بلاده يلزمه بعدم الخوض فى السياسة، أما حين كان وزيرًا للخارجية فقد كان من حقه اتخاذ المواقف السياسية فى كافة القضايا الدولية والمحلية.

وفى هدوئه المعهود الذى يعطيك إحساسًا بأن الرجل لا يؤرقه أى شىء فى الوجود، قال لى: لذلك فليس من المستحب أن يلتقى رئيس الجمهورية بالصحافة والإعلام لأن السياسية عندنا من صلاحيات الحكومة وليس الرئاسة.

ثم أضاف: ولقد قابلتك كوزير للخارجية. وأذكر أننى عبرت عن مواقف محددة فى القضايا المطروحة على الساحة الدولية، ومنها بطبيعة الحال قضية الشرق الأوسط، لكنى الآن للأسف غير مسموح لى التحدث فى مثل هذه الأمور.

قلت: أنت رجل غير عادى وقد كانت لك إسهامات كبيرة فى بناء نظام الدولة الحالى فى النمسا، وكنت من أهم المشاركين فى وضع القانون الدستورى الذى نص على (الحياد الدائم للنمسا) والذى يفرض عليك الآن عدم التحدث فى السياسة، لكنى أذكر أنك قلت لى وقت كنت وزيرًا للخارجية إن الحياد لا يعنى السلبية وعدم اللامبالاة. ومن هذا المنطلق حدثتنى فى قضية الشرق الأوسط معبرًا عن مواقف إيجابية للغاية.

لكنى لا أسعى إلى مثل هذا الحديث الآن وإلا لذهبت إلى وزير خارجيتكم، إنما أحاول الاقتراب من شخصيتكم التى تعتبر فى رأيى أهم من مواقفكم فى السياسة الخارجية.

وحكى لى رودلف كيرشليجر أنه بدأ حياته فى السلك القضائى وتدرج فيه حتى وصل إلـى منصب قاضى محكمة فيينا المدنية، لكن القانون قاده بالتدريج إلى السياسـة حيث شارك فى المفاوضات الخاصة بعلاقة النمسا بالسوق الأوربية المشتركة.

أما الإسهام الأكبر لكيرشليجر فكانت مشاركته فى صياغة حياد النمسا من خلال وضع الدسـتور الجديد الذى صدر بعد ذلك فى عام ١٩٥٥م، وذلك إنجاز يذكره له النمسـاويون جميعًا.

بعد ذلك ترك القاضى كيرشـليجر القضاء تمامًا واتجه إلى الدبلوماسـية حيث عُين عام ١٩٦٢م مديرًا لوزارة الخارجية النمساوية، وهو المنصب الذىظل يشغله حتى عام ١٩٧٠م حين أصبح وزيرًا لخارجية بلاده.

وقد كان لكيرشـليجر دوركبير فى حصول كورت فالدهايم، مندوب النمسـا الدائم فى الأمـم المتحدة على منصب السـكرتير العـام للمنظمة الدولية وذلك بالحملة الدبلوماسـية الواعيـة التى أدارها باقتدار مع الأعضـاء الدائمين فى مجلس الأمن، وقد كان هو صاحب فكرة ألا يرشـح فالدهايم نفسه وأن تكتفى النمسـا بالإعلان عن أن مندوبها سيكون متاحًا فيما لو رأى مجلس الأمن تعيينه سكرتيرًا عامًا، وقد أتاح له هذا الموقف التفاوض الهادئ مـع وزراء خارجية الدول دائمة العضويـة فى المجلس والتى بيدها قرار التعيين بعيدًا عن صخب الحملات الانتخابية المعتادة.

وقد كان انتخاب رودلف كيرشـليجر بعد ذلك رئيسًـا للجمهورية تتويجا لحياته التى انتهت للأسف عام ٢٠٠٠م بعد أن كان قد ترك الرئاسة، وبعد أيام قليلة من احتفاله بعيد ميلاده الخامس والثمانين.

وتصادف أن كنت فى النمسـا فى ذلك الوقت فشاهدت النمساويين ينعون ببالغ الأسى (القاضى كيرشليجر) وهو الاسم الذى لازمه طوال عمره، حين كان وزيرا للخارجية وحتى بعد أن أصبح رئيسًا للجمهورية.

سألت كيرشليجر: لماذا يطلق عليك الناس اسم (القاضى) رغم أنك رئيس للجمهورية؟ فقـال: إننى أعتز جدًا بتلك التسـمية، ويبدو أن النـاس تعتز بها أيضًا، وهى لا تتعارض مع رئاسة الجمهورية، بل على العكس هى تضيف إليها، فالمفترض فى الرئيس أن يكون

قاضيًا بين الجميع يحكم بالعدل والحياد، ولذلك ففى تسمية الناس لى بـ (القاضى) إقرار منهم بأننى أقوم بمهمتى وفق ما يتوقعون.

قلت له: فلنتحدث عن حياد النمسا الذى أرى أنه يختلف عن حياد بعض الدول الأخرى مثل سويسرا التى لا تتدخل فى أى من القضايا الدولية ولم تشارك حتى فى الاتحاد الأوربى، بينما نجد النمسا لها دور على الساحة الدولية.

فقال كيرشليجر بصوته الخفيض والبطىء: حين قررت النمسا أن تتخذ الحياد طريقا لها لم يكن ذلك هروبًا من المساهمة فى القضايا الدولية، إنما رفضًا للدخول فى صراعات عسكرية، فحيادنا هو حياد عسكرى وليس حيادًا سياسيًا.

ثم مر كيرشليجر بكفه على شعر رأسه الأبيض والذى كان يضيف لعمره الحقيقى سنوات لم يعشها، وقال: إن النمسا تعتبر حيادها الدائم هو عماد استقلالها الوطنى، ولأنه حياد عسكرى فنحن لا ندخل فى أحلاف ولا نقبل إقامة القواعد العسكرية على أراضينا، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لنا موقف من مختلف القضايا الدولية، ففى قضية الشرق الأوسط على سبيل المثال كان لنا موقف منذ البداية بتأييدنا للقرار ٢٤٢ الذى وضع الأساس لتسوية الصراع العربى الإسرائيلى، فنحن لا يمكن ألا نكترث لما يحدث من حولنا فى العالم.

وبدأ أمامى القاضى الحيادى مجسدًا بشخصه لحياد بلاده الذى نص عليه دستورها.

❑❑❑

فؤاد المهندس:
لن أشاهد مسرحية مدبولى !

كان ممثلو مسرحية (الجنزير) محقين حين حذّرونى من دعوة فؤاد المهندس لمشاهدة العرض، والذى كان يقوم ببطولته توأمه فى الكوميديا الراقية عبد المنعم مدبولى، فقد رفض المهندس الحضور، كما رفض مدبولى دعوته، واتهم كل منهما الآخر بالعيب فيه بكلام لم يعد يتذكره.. لكن حين حضر المهندس إلى المسرح كانت المفاجأة.

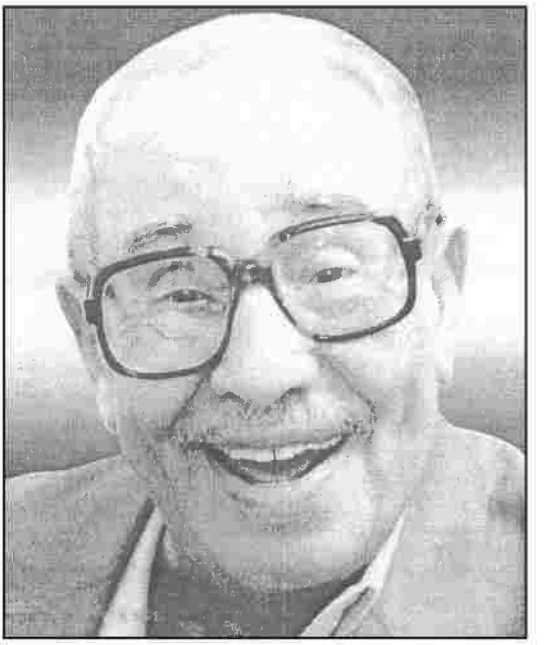

فؤاد المهندس

تعود علاقتى بفؤاد المهندس إلى مرحلة الستينيات حين كنت ما زلت طالبا بالجامعة فقد تعرفت عليه مصادفة فى نادى الجزيرة، حين كان يقوم بتصوير أحد أفلامه الكوميدية مع شويكار، وأثناء الاستراحة تحدثنا عن التمثيل وقلت له إننى مثلت دور هاملت بالإنجليزية فى فريق كلية الآداب، ويبدو أن أحد الممثلين تغيب فى آخر لحظة عن

التصوير، حيث فوجئت بالمهندس يقول لى: لماذا لا تمثل معنا؟ فطلبت نسخة من السيناريو لأقرأها أولا، فضحك ملء شدقيه وقال: التمثيل سيكون الآن وفورا، قلت: كيف وأنا لا أعرف الدور ولا كلامه؟ قال: ها هو ذا مساعد المخرج سيقول لك كلام كل مشهد قبل التصوير فتحفظه وتكرره بمجرد أن تدور الكاميرا.

وجاء المخرج حسام الدين مصطفى إلى حيث كنا نجلس فقال له المهندس: خلاص محمد حايعمل الدور، فسأله حسام: محمد مين؟ فأشار إلى قائلا: محمد سلماوى صديقى من زمان، ثم أضاف: ده أنا ما صدقت لقيته! كانت مشاهدى قليلة فى الفيلم ومعظمها تم تصويرها فى النادى حيث كنا ومشهد واحد فقط على ما أذكر تم تصويره بعد ذلك فى فيللا يوسف وهبى بمنطقة الهرم.

ورغم أننى مثلت كثيرا على المسرح فى الجامعة وقبلها فى المدرسة، فإن علاقتى بالسينما بدأت وانتهت بهذه التجربة، أما علاقتى بفؤاد المهندس فقد امتدت لسنوات طويلة رغم أن لقاءاتنا فيها لم تكن كثيرة، وكان يرسل لى فى بعض الأحيان دعوات للمسرحيات التى كان يقدمها، وأذكر فى إحدى هذه المسرحيات أن كان هناك مشهد بينه وبين رجل مخيف يثير فى نفسه الرهبة، وفى تلك الليلة ظل المهندس يناديه طوال الوقت باسم (السلماوى بك) بعد أن شاهدنى فى الصف الأول، وظل الممثل الذى يقوم بالدور يقول له: باقولك اسمى النمساوى بك فيكرر المهندس وراءه: (السلماوى بك)، مما كان يثير ضحك الجمهور.

ومرت سنوات طويلة كان فؤاد المهندس قد ابتعد خلالها بالتدريج عن المسرح، وفى عام ١٩٩٦م حين عرضت لى مسرحية (الجنزير) والتى كان يقوم ببطولتها عبد المنعم مدبولى، كنت أجلس فى الكواليس مع الممثلين حين قلت لهم إننى سأدعو فؤاد المهندس لمشاهدة العرض، وقلت إننى مدين له بدعوات كثيرة لمسرحياته التى استمتعت بها، فقال لى الممثلون إنهم لا يعتقدون أنه سيقبل الدعوة، وقال لى أحدهم: بل ربما يعترض مدبولى نفسه على حضور المهندس وقد لا يصعد على المسرح!

وذهبت مباشرة إلى عبد المنعم مدبولى وسألته: لماذا لم تدع فؤاد المهندس لمشاهدة العرض؟ فامتعض قليلا وقال: ولماذا لم يأت هو؟ إن مصر كلها شاهدت هذا العرض فلماذا لم يأت هو؟ قلت: ربما كان ينتظر دعوة منك باعتبارك بطل العرض، قال: أنا لن أدعوه،

بعد ما قاله عنى! قلت: ماذا قال عنك؟ قال: لا أذكر، كان ذلك منذ سنين، ثم إننى لو دعوته فلن يحضر، فقد سمع بالطبع عن النجاح الذى حققته المسرحية فى الوقت الذى لم يعتل هو خشبة المسرح منذ فترة طويلة، فهل تريده أن يجىء ليشاهد هذا النجاح بنفسه؟ هو بالطبع لن يأتى، وإذا دعوته فإنه سيكسفنى، قلت لعبد المنعم مدبولى: إذن دعنى أنا أدعوه فإذا اعتذر فإن ذلك لن يسبب لك أنت أى حرج، فلم يرد بالموافقة حتى لا يكون له دخل بالدعوة التى كان يخشى أن يتم رفضها فتحسب عليه.

وقد اتصلت بفؤاد المهندس فى اليوم التالى وقلت له إن لى مسرحية تعرض الآن وأريد دعوتك لحضورها، قال: ما أنا عارف، موش مسرحية (الجنزير)؟ قلت له: نعم، فقال دى مسمّعة جامد قوى (يقصد أنها أحدثت دويا)، قلت: إنها تعرض على مسرح السلام، ويا ريت تشرفنا فحضورك سيسعد الممثلين، فسكت قليلا وتغيرت نبرة صوته وهو يقول: هى تمثيل مين؟ أنا قرأت نقدا كثيرا يشيد بها لكن موش فاكر إن حد ذكر الممثلين، قلت له: إنهم ماجدة الخطيب وخالد النبوى ووائل نور وعزة بهاء، ثم أضفت: وطبعا صديقك القديم عبد المنعم مدبولى، فقال على الفور: الحقيقة أنى موش حاقدر آجى لمدبولى بعد الكلام اللى قاله عنى! قلت: ماذا قال عنك؟ قال: لا أذكر كان ذلك منذ سنوات، قلت: لكنه يقول عنك الآن كل خير، فقال بصوت عال وكأنه على خشبة المسرح: متأسف موش هاقدر آجى يا نمساوى بك، عندى برد، وانفجرنا نحن الاثنان فى الضحك، وواصلت محاولتى إقناعه بالحضور فقلت إن مدبولى لا يقل عنه طيبة لكن هناك دائما «أولاد الحلال» الذين ينقلون لكل طرف أقوالا عادة ما تكون من اختلاقهم، ثم قلت: أنا أتصور أنك يمكن أن ترفض طلبا للنمساوى بك، لكن لا أتصور أن ترفض طلبا لسلماوى بك، فضحكنا مرة أخرى، وقال لى: أرجوك ماتلحش على لأنى من يوم ما قرأت عن المسرحية وأنا حاموت نفسى أشوفها، وموش مستحمل (تكة)، قلت: وكيف أقوم بتلك (التكة)؟ قال: مكالمتك هذه هى (التكة)، أنا جاى بكرة!

وفى اليوم التالى ذهبت مباشرة إلى غرفة عبد المنعم مدبولى وقلت له إن فؤاد المهندس سيجىء الليلة ليشاهده على خشبة المسرح، فبرقت عيناه وهو يقول: بجد؟! أوعى يكون بيضحك عليك، قلت له: أنا واثق أنه سيأتى وقد أخبرنى أنه كان يتطلع للحضور بعدما قرأه عن العرض، قال: طيب ما تقولوش إنك قلت لى إنه جاى، خصوصا لو ما جاش،

فوعدته بذلك.

وما هى إلا دقائق وحضر فؤاد المهندس كما وعد، كان يرتدى بذلة كحلية داكنة وحول رقبته كوفية حمراء صارخة تتدلى على صدره كوشاح البابا، وبعد أن رحبت به جلست قليلا إلى جواره فى الصف الأول، فسألنى: قلت لمدبولى إنى جاى، وتذكرت وعدى لمدبولى: فقلت: فضلت أن تكون مفأجأة. قال: أحسن برضه. ثم أضاف: عارف لو قلت له ماكانش حايطلع على المسرح، وقبل أن أرد عليه أطفئت أنوار المسرح إيذانا ببداية العرض فانسحبت فى هدوء متمنيا له أن يستمتع بالعرض، وفى الاستراحة قلت له إننى بعد انتهاء العرض سآتى إليه لندخل الكواليس معا لتحية الممثلين، فقال: لأ، أرجوك، أنا عندى برد، قلت له: إن شاء الله على نهاية العرض ومع حرارة التصفيق تكون كل البرودة قد زالت من الجو.

ومرت اللحظات خلال الفصل الثانى طويلة وقلقة وأنا أتصور أن فؤاد المهندس يمكن أن يغادر المسرح بمجرد انتهاء العرض ودون أن يذهب لتحية الممثلين، وفى هذه الحالة أكون قد تسببت ليس فقط فى إهانة مدبولى بأكثر مما كان يمكن أن يحدث لو أن المهندس لم يأت، وإنما أكون قد تسببت فى إهانة بقية الممثلين أيضا، فمن تقاليد العروض المسرحية أن يذهب الممثلون لتحية زملائهم أبطال العرض بعد انتهائه، والخروج على هذا التقليد يكون إهانة لأبطال المسرحية.

لكن ما إن انتهى العرض وتعالى تصفيق الجمهور حتى وقف فؤاد المهندس يُحيى الممثلين واقفا، ثم حين دخل عبد المنعم مدبولى لرد تحية الجمهور، إذا بفؤاد المهندس يفاجئنا جميعا بالصعود بنفسه إلى خشبة المسرح فيحتضن عبد المنعم مدبولى ويقبله بحرارة لا برودة فيها ولا برد، وسط تصفيق الممثلين والجمهور معا.

❑❑❑

مدير أوبرا فيينا:
أوبرا القاهرة شقيقتنا التوأم !

كنت فى زيارة للنمسا فى ديسمبر ١٩٧١م حين حاولت الحصول على تذكرة فى أوبرا فيينا العريقة، لكنى لم أجد أى أماكن باقية فى الموسم كله رغم أنه كان يضم أكثر من خمسة عروض أوبرالية هى (ريجولتو) و(لابوهيم) و(كارمن) و(مانون لسكو) و(زواج فيجارو)، لكن حين علم مدير الأوبرا أننى مصرى أعطانى على الفور التذكرة التى كانت محجوزة له شخصيا فى ذلك اليوم فى عرض (كارمن) لجورج بيزيه.

تعتبر أوبرا فيينا من أهم وأعرق دور الأوبرا فى العالم، لذلك لم أكن أتصور أن أكون فى فيينا ولا أذهب إلى الأوبرا، لكنى فوجئت حين وصلت إلى شباك التذاكر أنه ليس هناك مقعد واحد خال طوال الموسم الذى كان يضم أكثر من خمسة من أشهر العروض الأوبرالية، وأن الشباك كان يبيع تذاكر الموسم القادم.

قلت لعاملة الشباك: أليس لديكم تذاكر خاصة محجوزة للصحفيين؟ قالت: هل أنت صحفى؟ قلت: نعم أنا صحفى من مصر وتلك هى بطاقة عضويتى فى الاتحاد الدولى للصحفيين.

قالت عاملة التذاكر إنه ليس لديها تذاكر لكنها أخذت بطاقتى وقالت إنها ستعرض الأمر على مدير الأوبرا ربما كان لديه حل.

انتظرت فى حجرة السكرتارية بضع دقائق قبل أن يفتح الباب ويدخل على مدير أوبرا فيينا بنفسه الدكتور كارك فاسكا والذى يعتبر شخصية غاية فى الأهمية فى الوسط الثقافى والفنى فى النمسا.

كان وجهه متهللا وهو يسألنى: أحقا أنت مصرى؟ قلت: نعم، قال إذن فيجب أن تحضر عرض الليلة. إنه أوبرا (كارمن) لجورج بيزيه، فنحن لدينا نقطة ضعف تجاه مصر، وخاصة من يحبون الأوبرا فيها.

قلت: لماذا؟ فقال: ألا تعلم أن أوبرا القاهرة هى الأخت التوأم لأوبرا فيينا؟ لقد بنيت كل منهما فى نفس الوقت وافتتحتا فى نفس العام، وهو عام ١٨٦٩م دار القاهرة بأوبرا

(ريجولتـــو) لفيـــردى ودار فيينا بأوبرا (دون جوان) لموزار، ولقـــد أقيمتا على نفس الطراز المعمارى القديم.

وشـــكرت مديـــر أوبـــرا فيينا على اهتمامه وعلـــى التذكرة التى قدمها لـــى والتى رفض أن يتقاضـــى ثمنهـــا قائلا إنهـــا التذكرة المحجوزة له شـــخصيًا فى كل عـــرض، وهممت بالانصـــراف حين بادرنى الرجل بالســـؤال: كيف تركتم أوبـــرا القاهرة تحترق؟ ولاحظت فـــى صوته نبرة عتاب، فقلت: إنه القدر، ولقد حزن الناس فى القاهرة كثيرا على احتراق الأوبرا التى كانت تمثل جزءا من تاريخ مصر وربما سمعت أن الجماهير ظلت تحيط بالأوبرا عدة أيام غير مصدقة أنها قد احترقت.

قـــال: لقد بعثنا لكـــم بخطاب تعزية فى ذلك الوقت فقـــد كان مصابا أليما لنا جميعا. قلت: إنك تتحدث عنها وكأنها كائن حى، قاطعنى على الفور قائلا: هى كذلك بالفعل، لذلـــك لم يكن يجب أن تتركوهـــا تحترق، لقد ارتبطت أوبرا القاهـــرة بأوبرا فيينا ارتباطا وثيقا وكان لهما مصير مشترك مثل الكثير من الأشقاء التوائم، فقد تعرضت أوبرا فيينا هى الأخرى للحريق، لكن ذلك كان فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة وبالتحديد عام ١٩٤٥م، والمؤلـــم حقـــا هو أن القنابل دكـــت هذا المبنى الجميل قبل ثلاثة أســـابيع فقط من انتهاء الحرب ولوكانوا انتظروا تلك الأسابيع الثلاثة لنجت أوبرا فيينا من النيران.

ويشرد دكتور كارك فاسكا بذهنه قليلا ثم يعود فيقول لقد حولت القنابل مبنى الأوبرا إلـــى ركام أســـود ورماد ولم يبق منهـــا إلا واجهتها القديمة، لكننا أعدنا بناءها ســـريعا بمجـــرد انتهاء الحرب، واليوم ها هى ذى كما كانت تماما لا تســـتطيع أن تتبين الفرق بين القديم والجديد.

ثم يتدارك الرجل نفســـه ليقول: لقد اســـتفدنا كثيرا من الحريق بأن جددنا كل معداتنا بحيـــث صـــارت أوبرا فيينا الآن من أكثر أوبرات العالم حداثـــة، وتلك كانت مهمة صعبة جدا، لأننا أردنا أن نبقى على الشكل القديم وفى نفس الوقت كان يجب أن نقوم بتجديد معداتنـــا وفـــق أحدث ما وصلت إليه تقنيات دور العرض فـــى العالم، وقد كان من الأفضل أن نبنى أوبرا جديدة على طراز حديث يساير العصر كما كانت الأوبرا القديمة تساير العصر الذى بنيت فيه.

ثم أخذنى دكتور فاسكا فى جولة داخل الأوبرا، وحين وصلنا إلى خلفية المسرح قال لى: انظر إننا لم يعد لدينا خشبة مسرح واحدة كما كان فى السابق، إنما لدينا الآن ثلاثة، فهناك خشبة أخرى بنفس مساحة الخشبة الرئيسية خلفها مباشرة وأخرى إلى جانبها الأيمن، وهكذا يمكن تغيير المشاهد بسرعة فكل من هذه الخشبات المسرحية يتم تغييرها كهربائيا بحيث تختفى أثناء نزول الستار وتأتى الخشبة الأخرى بدلا منها بالمنظر الذى تم تركيبه عليها، ولقد كان هذا من الصعوبة بمكان لتقيدنا بالطراز القديم للأوبرا، لذلك فأنا أنصحكم صادقا أن تنسوا الأوبرا القديمة ما دمتم تركتوها تحترق وأن تبنوا دارا جديدة على أحدث الطرز، فذلك سيوفر لكم مميزات كبيرة جدا.

لم يكن قد مضى على حريق أوبرا القاهرة إلا أشهر قليلة، لذلك فلم أستسغ كثيرا ما قاله لى مديرا أوبرا فيينا من ضرورة أن ننسى الأوبرا القديمة ولا نكرر خطأهم بمحاولة الاحتفاظ بطراز الأوبرا القديمة، بل نبنى أوبرا جديدة على طراز عصرى حديث.

لكنه أكد لى أن ذلك كان من الصعوبة بمكان لدرجة أنهم اضطروا لعمل مسابقة بين المختصين لمن يستطيع أن يعيد بناء الأوبرا على طرازها القديم وأن يمدها فى نفس الوقت بأحدث الأجهزة والمعدات، وقال إنه كانت هناك فى النهاية ثلاثة تصميمات لكل منها مميزاته، لذلك تم منح الجائزة للثلاثة معا.

وقد كان د. فاسكا هو الذى أشرف بنفسه على تنفيذ التصميم النهائى الذى ضم مميزات التصميمات الثلاثة فى نفس الوقت.

وعاد الرجل يقول: نصيحتى لكم هى: مبنى حديث بدلا من القديم الذى احترق وليس محاولة إعادة بناء القديم أو ما يشبهه.

ولقد صرنا أنا والدكتور كارك فاسكا أصدقاء نتراسل كثيرا، فكان يرسل لى بطاقة معايدة فى رأس السنة وكنت أحيطه علما بما يجرى فى شأن بناء أوبرا جديدة.

وحين تم فى النهاية تنفيذ ما نصح به مدير أوبرا فيينا ببناء الأوبرا الجديدة فى أرض الجزيرة واقترب موعد افتتاح الأوبرا الجديدة التى أقامها لنا اليابانيون، وجدت نفسى وكيلا لوزارة الثقافة ومسئولا بحكم عملى كرئيس لقطاع العلاقات الثقافية الخارجية عن

دعــوة الضيوف الأجانب، وهكذا أرســلت على الفور دعوة إلى مديــر أوبرا فيينا أقول له إننا ندعــوه يــوم ١٠ أكتوبر ١٩٨٨م لحضور حفل افتتاح أوبرا القاهرة الجديدة التى جاءت طبقا للنصيحة التى أســداها لى قبل ١٧ عاما، لكن للأســف ردت أوبرا فيينا على خطابى تقول إن الدكتور كارك فاسكا الذى أحب أوبرا القاهرة واعتبرها الأخت التوأم لأوبرا فيينا قد رحل قبل ذلك بقليل.

❑❑❑

توماس فريدمان:
أحداث سبتمبر موجهة ضد الحكومات العربية !

لم أتفق فى الرأى مع الصحفى الأمريكى الكبير توماس فريدمان فى أية نقطة من النقاط التى تطرق إليها حديثنا خلال زيارة قام بها للقاهرة عام ٢٠٠٣م، فقد تحدثنا عن سياسة بلاده تجاه العراق وعن الديمقراطية، فى الوطن العربى وعن الجمود الذى يحيط بالقضية الفلسطينية لكن خلافنا الأكبر كان حول حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م فى نيويورك.

حين التقيت بالصحفى الأمريكى الأشهر توماس فريدمان الذى يعمل بجريدة (نيويورك تايمز) وتنشر مقالاته فى عدد كبير من الصحف فى العالم، كان فريدمان قد جاء إلى مصر ليعد برنامجا وثائقيا لقناة (ديسكوفرى) حول رؤية المصريين لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وكان لقاؤنا على العشاء بدعوة من رجل الأعمال محمد شفيق جبر، وقد تركز حديثنا كله حول السياسة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش.

وقد انبرى فريدمان يتحدث للمصريين الحاضرين –وقد كنا ستة أو سبعة أشخاص– عن هول ما حدث يوم ١١ سبتمبر وآثاره النفسية على الضمير الجمعى فى الولايات المتحدة وكأنه يريد أن يؤنبنا على ما حدث بفعل يدينا، وأخذ يردد أن أحد أهم مدبرى هذا الحادث كان مصريا وأن الحادث جاء نتاج لغياب الديمقراطية فى الوطن العربى والشعور بالإحباط العام الذى يشعر به الشباب العرب.

فقلت: لا شك أن ما حدث فى نيويورك يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م يعتبر مأساة مروعة لم تكن تخطر على بال أحد، ولقد أسفنا له فى الوطن العربى كما أسف له العالم أجمع، لكن تصوير ضرب برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك على أنه عمل موجه ضد الحكومات العربية بسبب غياب الديمقراطية يبدو كأنه محاولة منكم للتهرب من مسئوليتكم فيما وقع.

ثم قلت: إن ما حدث فى نيويورك كان موجها ضد سياسة الولايات المتحدة فى الوطن العربى وانحيازها الأعمى ضد العرب، وإذا كنا قد أسفنا أن ضحايا هذا العمل كانوا من المواطنين الأبرياء والذين قد تكون لهم انتقاداتهم على السياسة الأمريكية، إلا أننا يجب ألا يغيب عنا أن الهدف المقصود من ذلك الحادث كان ضرب الولايات المتحدة فى القلب.

قال فريدمان: إن من قاموا بهذا العمل هم نتاج مباشر للمجتمعات العربية الكابتة للحريات وما قاموا به هو تعبير عن شعورهم العام بالإحباط فى بلادهم ومن ثم إزاء العالم أجمع.

قلت: إننى لن أدافع عن نظام الحياة فى المجتمعات العربية فقد انتقدناها ودفعت أعداد كبيرة من المعارضين فى كافة الدول العربية ثمنا باهظا لمطالبتها بالحرية وبالديمقراطية، لكن ألا تعتقد أن حادث ١١ سبتمبر لو كان موجها ضد الحكومات العربية لكان قد تم داخل هذه الدول وليس فى نيويورك؟ ولكان قد تم ضد رموز هذه الحكومات وليس ضد رمز القوة الاقتصادية الأمريكية؟

إنكم تريدون التنصل من المسئولية وإلقائها على أكتافنا نحن.. لقد عانينا طوال ما يزيد الآن على نصف القرن من الزمان من محرقة اليهود (الهولوكوست)، والتى نجحت الدوائر الصهيونية فى أن تؤنب بها ضمير الشعب الألمانى، بل باقى الشعوب الأوربية أيضا حتى صارت هناك عقدة ذنب غربية تجاه اليهود سمحت لإسرائيل باستغلال الدول الغربية ماديا وسياسيا ومعنويا لصالحها، رغم أن بعض اليهود غير الصهاينة يتساءلون عمن فوض إسرائيل فى الحصول لنفسها على حقوق ضحايا تلك المحرقة.

أقول إننا عانينا من آثار تلك المحرقة رغم أننا لم نرتكبها ولم يكن لنا بها دخل من قريب أو بعيد، بل وما لا يعرفه البعض هو أن العرب تماما مثل اليهود كانوا على قائمة النازى وكان ترتيبهم بالتحديد فى خطط الإبادة العرقية هو السادس بعد اليهود والغجر والسلاف وغيرهم من الأجناس الأخرى غير الآرية، لكننا مع ذلك عوملنا وكأننا كنا شركاء لهتلر، واتهمنا بمحاولة إلقاء اليهود فى البحر، ووصفنا بالعداء للسامية لا لسبب إلا لأننا رفضنا احتلال أراضينا وطرد سكانها. ولأننا رفضنا السياسة الإسرائيلية الرامية إلى القضاء على الشعب الفلسطينى.

وربما كان أفضل ما ساعدنا على مواجهة احتلال إسرائيل للأرض العربية منذ قيامها عام ١٩٤٨م وعلى التصدى لسياستها العنصرية الحالية ضد الفلسطينيين هو أننا نحن العرب والمسلمين ليس لدينا عقدة ذنب تجاه اليهود تجعلنا نخشى التصدى للصهيونية وأعمالها الوحشية.

وأخشـــى ما أخشـــاه اليوم هو أن تتحول حادثة ١١ ســـبتمبر ٢٠٠١م إلى محرقة أخرى نتهم نحن فيها ونبدأ مع الوقت فى الشـــعور بالذنب تجاهها بما يســـمح للولايات المتحدة أن تفعـــل بنا ما فعلتـــه الحركة الصهيونية بالدول الغربية، فهل مطلوب من الدول العربية أن تشـــعر بالذنب بســـبب ما حدث فى ١١ سبتمبر وتظل تدفع ثمن ذلك الحادث المؤسف لسنوات قادمة؟ هل مطلوب أن نظل نكفّر عن تلك الانفجارات التى أسقطت برجى التجارة العالميـــة فـــى نيويورك رغم أن مـــن قاموا بها هم فى أغلبهم مطـــاردون فى دولهم العربية، ورغم أن بعضهم كانوا فى الولايات المتحدة هربا من العدالة فى دولهم العربية؟ هل مطلوب باختصار أن يتحول ١١ سبتمبر إلى (هولوكوست) آخر تتم معايرتنا به بقية العمر؟!

وسكت الصحفى الأمريكى قليلا ولم يرد، ثم جاء الحلو فكان (آيس كريم) باردا.

❑❑❑

عبد الوهاب المسيرى:
أنـا مشغـول بالمـوت !

جمعتنـى بالراحل الكبير الدكتور عبدالوهاب المسـيرى محطات علـى طريق كل منا شـاء القدر أن تتلاقى عندها مصائرنا، ثم كانت تأخذنا الحياة كل فى اتجاه إلى أن تأتى المحطة التالية فتجمعنا من جديد وكأنها خطوة تالية مباشـرة للمحطة السـابقة لم تمض بينهمـا السـنون ولا تدفقت خلالها مياه النهر تحت الكبارى، فقد كانت شـخصية كل منـا متقاربة مع شـخصية الآخر، لنا نظرة للحياة واحـدة وإن اتجهت فى حالته وجهة غـير وجهتى، لكن منطقنا كان واحدا ومنهجنا فى البحث كان واحدا أيضا وإن اختلفت نتائجه فيما بيننا.

ترجع علاقتى بالدكتور عبد الوهاب المسيرى إلى أوائل السبعينيات الماضية حين كانت تجمعنا مؤسسـة (الأهرام) ضمن أبنائها.. هو فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية وأنـا فى القسـم الخارجى بالجريدة..كان ذلـك هو مجرد الإطار الـذى التقينا فيه، لكن الذى جمع بيننا فى المضمون كان سـعى كل منا إلى البحث عن ثوابت هذا الوطن فى فترة كانت تميد فيها الأرض تحت أقدامنا بكل شىء.. كانت مرحلة بدت لنا عازمة على هدم الواقـع الذى تربينا عليه والذى تصورناه من الثوابـت التى لا تتغير.. كان ذلك فى بداية السـبعينيات حين كانت معطيات السـتينيات من القومية العربية إلى العدالة الاجتماعية تتعرض لحملة مراجعة عنيفة اسـتهدفت القضـاء على تراث مرحلة الثورة وتمهيد الطريق للانضمام إلى المنظومة الأمريكية واعتماد السياسة الرأسمالية ثم زيارة القدس وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل.

كانت فترة عصيبة تلك التى جمعتنا فيها معارضتنا المشتركة لذلك الاتجاه الجديد الذى هب على المجتمع كالرياح الهوجاء، كما جمعنا فيها تمسكنا بالثوابت التى رفضنا التعامل معهـا كالرداء الذى يمكن إذا ما تغيرت خطوط (الموضة) السـائدة يتم خلعه وارتداء لباس آخر يبدو أكثر مسايرة لتلك (الموضة).

كم أمضينا السـاعات فى (الأهرام) نتحدث عن القضايا القومية – عن فلسـطين وعن انتماء مصر العربى، وكم أمضينا الساعات نتحدث أيضا عن سعى ثورة يوليو تحقيق العدالة

الاجتماعية عن غير طريق الشيوعية أو الماركسية التى كانت تبدو الملاذ الطبيعى أمام دول العالم الثالث التى كانت قد خرجت لتوها من تحت ربقة الاستعمار، سواء فى أفريقيا أو فى أمريكا اللاتينية، وقد كان هذا التمايز للثورة المصرية وتلك الخصوصية هو أكثر ما كنا نتوقف عنده ونرفض من أجله محاولات إلحاق مصر بنموذج آخر سابق التجهيز سواء كان النموذج الماركسى خلال فترة عبد الناصر أو النموذج الرأسمالى خلال فترة السادات.

كانت تلك هى محطة لقائنا الأولى وكانت محطة تأسيسية فى علاقتنا التى ظلت وطيدة إلى أن رحل المسيرى عن عالمنا تاركا وراءه كل ما له وما عليه.

وحين التقينا فى المحطة الثانية كانت الأيام قد باعدت بيننا منذ جلساتنا القديمة فى (الأهرام). كنت قد أبعدت عن (الأهرام) ضمن قائمة ضمت عشرات الكتاب والصحفيين المعارضين للنظام، وكنت قد اعتقلت بعد ذلك فى يناير ١٩٧٧م ضمن أعداد أخرى من الكتاب والصحفيين والطلبة، ووجدته يتصل بى ليحدثنى عن موسوعته التى يعكف على إعدادها عن (اليهود واليهودية) و(الصهيونية) ويطلب منى أن أساهم فيها بمدخل عن (التطبيع).

كان عبد الوهاب مهموما بتلك الموسوعة وكان لديه إحساس بأنه لن يتمكن من إنجازها بسبب الجهد الشاق الذى تطلبه والميزانية الهائلة اللازمة لها، لذلك فكر فى أن يعهد لبعض المتابعين لقضايا اليهودية والصهيونية بأن يساهموا معه فى إنجازها كل فى مجال تخصصه؛ وكان عبد الوهاب يعلم أن لى موقفا واضحا من التطبيع كان وراء الكثير من المتاعب التى لاقيتها، أما بخصوص التكلفة فقد اقترحت عليه أن تتحول الموسوعة إلى مشروع قومى يساهم فى تكلفته كل صاحب رأى مهتم بالشأن الوطنى، فأعجبته الفكرة وظل يناقشنى فيها، لكنه وفق بعد ذلك فى الحصول على التمويل اللازم لإصدار الموسوعة من دار الشروق التى تحمست لها وقامت فى النهاية بنشرها فى عام ١٩٩٥م فى ٨ أجزاء ضخمة.

كان عبد الوهاب المسيرى فى بحثه الدائم عن الثوابت قد وصل به المطاف إلى الإسلام باعتباره أصل الثقافة والحضارة العربية ومن ثم المكون الأول للهوية، وأصبح كل دعاة التنوير بالنسبة له من طه حسين إلى سلامة موسى ومن توفيق الحكيم إلى نجيب محفوظ مقلدين للنموذج الغربى وليسوا باحثين عن الجذور الأصيلة للهوية العربية.

كانت مناقشاتنا فى تلك المحطة متعارضة فقد كنت أرى الإسلام مكونا رئيسيا للهوية العربية لكنه ليس المكون الوحيد وكنت كثيرا ما أقول له إن المصرى القبطى أو اللبنانى المسيحى أقرب لى ثقافيا وحضاريا ومن حيث الهوية والتكوين الشخصى عن المسلم الأزربيجانى أو الزنزبارى.

واعترفت له بهويته الدينية الإسلامية واعترف لى بهويتى المدنية العروبية لكنا لم نتفق وأحسست لأول مرة بالسنين التى باعدت بيننا وبالمياه التى مرت تحت الكبارى.

ثم كانت المحطة الثالثة والأخيرة حين اتصلت به فى أبريل ٢٠٠٨م ليكون واحدا من ثلاثة محاضرين كبار يساهمون فى فاعلية ثقافية كبيرة أقامها اتحاد كتاب مصر بمناسبة افتتاح مقره الجديد بقلعة صلاح الدين.. كان المحاضر الأول هو الروائى المكسيكى الكبير البرتو روى سانشيز الذى ألقى محاضرة بارعة عن (الحضور العربى فى الثقافة المكسيكية)، وكان الثانى هو الروائى الهندى العالمى أميتاف جوش وكانت محاضرته عن الأصداء المصرية فى أعماله الروائية.

وقلت للدكتور المسيرى: لك أن تختار الموضوع الذى تريد الحديث فيه، فقال على الفور: (إشكالية الموت فى الشعر الإنجليزى) ووجدت الموضوع بعيدا بعض الشىء عن مضمون المحاضرتين الأخيرتين وسألته لماذا اختاره، فقال: أنا لا استطيع أن أتحدث إلا فيما أنا مهتم به، وأنا منشغل هذه الأيام بالموت!

كان ذلك نبراسا صادما لم أستطع أن أراجعه فيه فقد أصابنى بتوجس وحيرة لازمانى طويلا وظلا يتجددان طوال الفترة السابقة على احتفاليتنا كلما سألنى أحد: لماذا اختار المسيرى هذا الموضوع؟

وحين وصلنى خبر رحيل الصديق العزيز عبد الوهاب المسيرى تذكرت محاضرته العظيمة وتذكرت شعورى إزاءها، كما تذكرت أيضا آخر حديث لى معه قبل رحيله بأيام حين اتصلت به من تونس لأخبره بأن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب قد أقر بالإجماع أثناء اجتماعه فى العاصمة التونسية ترشيح اتحاد كتاب مصر له للفوز بجائزة القدس العربية السنوية، وقال لى عبر الهاتف: لقد توجتم بهذه الجائزة كل ما قمت به فى حياتى.

❑❑❑